

نفحات القرآن

[137] النبي إبراهيم (عليه السلام) المقدام والمكسّر للأصنام بالقدوة في الدفاع عن قضية التوحيد ومحاربة الشرك محاربة لا هوادة فيها حيث قالت : (قد كانت لكُم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) ثم تقدّم توضيحاً عن الأسوة الحسنة هذه بقوله تعالى : (إذ قالوا لقومهم انّا براءؤا منكم وممّا تعبدون من دون الله) وأضافت - للتأكيد المضاعف - (كفرنا بكم) . إنّ الكفر بالأشخاص يعني إعلان البراءة منهم ، لأنّ هذه المفردة (الكفر) ذات معان خمس حسب الروايات الإسلامية ، أحدها كفر البراءة ، ولم تكتف بذلك بل أضافت : (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتّى تؤمنوا بالله وحده) . وإنّ هذه التعابير (البراءة أو لا ثمّ إعلانها ثمّ الإعلان عن العداوة الدائمة) لشاهد صريح على صلاية الموحّدين تجاه القذرين المتلوّثين بالشرك وعبادة الأوثان ، وحينما نلاحظ أنّ القرآن يذكر كلام النبي إبراهيم وأتباعه كقدوة للمسلمين فإنّ ذلك يعني أنّ الإسلام لا يعرف أيّة مهادنة بين التوحيد والشرك في أيّة مرحلة . ومن التعمّق في تعبير الآية تنكشف الأهميّة البالغة لهذه القضية ، فالتعبير بـ (قومهم) دليل على أنّ غالبية القوم هم من عبدة الأصنام وأنّ الموحّدين قليلون ، ويبدو أنّ هذا الحوار جرى في (بابل) ، التي هي مركز عبدة الأصنام في ظلّ سلطة الطاغية (النمرود) ، ولم تعتمد هذه المجموعة الصغيرة المؤمنة إلى مسايرة الوضع السائد ، ولم تعمل بالتقيّة تجاه المشركين في مسألة التوحيد . فمن جانب تقول : (نحن بريؤون منكم) . ومن جانب آخر : (كفرنا بكم) . ومن جانب ثالث : (نتبرأ من أصنامكم) . ومن جهة رابعة : (انّا نعتبركم أعداءً لنا) .